رأس المسافر

شعر

سيف الرحبي

شعر




سيرةٌ ناقِصة

سيف الرحبي من مواليد عام 1956 بقرية سرور بعُمَان، التي غادرها مبكراً نحو القاهرة. بعدها عاش حالة من عدم الاستقرار، متنقلا بين أكثر من بلد عربي وأُوربي.

دار توبقال للنشر
عمارة معهد التسيير التطبيقي. ساحة محطة القطار
بلقدير. الدار البيضاء 05 ـ المغرب
الهاتف : 24.06.05/42

تصميم الغلاف : عبد الله الحريري

رأس المسافر

للشاعر

- □ نورسة الجنون (شعر)، دار الجرمق، دمشق، 1981.
- □ الجبل الأخضر (شعر)، ألف باء، دمشق، 1983.
- □ أجراس القطيع (شعر)، باريس، 1984.

كتبت قصائد هذا الديوان عام 1985 في باريس، نشر بعضها في المجلات العربيّة.

رأس المسافر

شعر

سيف الرحبي

دار توبقال للنشر
عمارة معهد التسيير التطبيقي. ساحة محطة القطار
بلفدير. الدار البيضاء 05 ـ المغرب
الهاتف : 24.06.05/42

تمّ نشرُ هذَا الكِتاب ضِمْن سِلْسِلة
نصوص أدبيَّة

الطبعة الأولى 1986

رقم الإيداع القانوني 1986/172

لقَد تعِب الحائطُ مِنَ السَّفَر

عِندَمَا يَمْشِي الجَسَدُ
فِي الظَّلاَم، تُغَادِرَهُ
روحُهُ وتَتَحفَّز خُطَاهُ

م - ش.

مَدينةٌ تسْتيقِظُ

تستيقظُ آخر الليلِ،
تُلقي نظرةً على الشارِع الخالي، إلاَّ
مِنْ أنفاسٍ متقطعةٍ، تعبُرهُ
بين الحين والآخرِ.
وحدَهُ النومُ يمشي، مُتنزِّهاً بينَ
قَبائِله البرْبريَّةِ،
تتقدَّمه فِرقةٌ مِنَ الأَقزامِ.

وهُناك رؤوس وهميةٌ تطل مِن النوافذِ
على بقَايا الثَّلج الملتصقِ بالحَواف وكأَنما
تُطل على قِسمتها الأَخيرة في
مِيراث الأَجدادِ.
المصابيحُ تتدافَع بالمناكِبِ، قادمةً
من كهوفٍ سحيقةٍ
لاَ تحمل أَي سِرٍّ.
السَّماءُ مقفرةٌ منَ النجومِ
الجِمالُ تقطع الصحراءَ باحثةً
عن خِيام العَشِيرةِ
القطاراتُ تحلُم بالمسافرينَ.
لاَ أَحدَ... لا شيءَ..
أَغلِقِ السّتارةَ
فربَّما لاَ تحتمِلُ
مشهدَ مدينةٍ تَستيقظُ.

مِن الغُرفَة إلى المقهَى

فِي الصباح عندما أَستيقظُ
يستيقظُ العالمُ في رأسِي،
بكائِناتِه وزَعِيقهِ الذي يهْرِسُ العظامَ.
أُغادر غرفَتي التي تُشبِه كهفاً مليئاً
بالقتْلَى
وأدلفُ المقهى،
أُحدق ملياً في الفنجانِ الشَّبيه بأَفعَى
تَسترخِي في ظهيرةٍ صيفيةٍ
وأُفكِّر أنهُ فنجانِي الأخيرُ في هذِه المدينةِ.
لكنَّ النهارَ مازال في أَوَّلهِ
وأَنَا قادمٌ على حُروبٍ وقُبلاتٍ
أكتشِفُ نكهتَها بعدَ
قُرونٍ

بخُطوةِ الغيْبِ

ثمةَ ما يُؤْذنُ بانفجارِ اللَّحظَةِ
ثمةَ فِي الشَّارِع امرأَةً تقطَع القلبَ
بخطْوة الغيبِ
ثمةَ قامةٌ تُشمِّر الساعِدَ
عَن خِيانَتِها الكُبرَى.
طُوفانُ الشُّكوكِ يجْثُم علَى
الصَّدرِ
وفي اللَّيلةِ نفْسِهَا،
الليلة الملعُونةِ هَذِه،
يفتَحُ الرأْسُ أبوابَهُ
مِثلَ ثَوْرٍ يدفع عاصفةً نحْو هِجرتهَا
الأَبديَّـــــةِ.

كُلُّ هذَا العمْر

ثَلاثُون عاماً.. كلُّ هذا العمرِ الذِي
حَوَّشْتُهُ مِن دهاليزِ الأَجدادِ،
يَفِيضُ الآنَ على كتفِ الصحْراءِ
وأنهارِهَا الجافَّةِ،
وفِي شوارِعَ أَباحتْ هذَا المساءَ
كُلَّ أسرارِ مزابلِها الخاصَّةِ،
مضيْتُ باحِثاً عن ظلِّ قدمِي الذي
أَضعْتُه في مُعتركِ الحضَاراتِ
ودكاكينِ الخُضارِ.

أَجلسُ علَى مَصطبةٍ في الشَّارعِ
أكتبُ مسودةً للحرُوب القادمةِ
ومُلاحظاتٍ حوْل طَبيعةِ الطقسِ
السريِّ لأَحلام الرُّعاةِ
وَعمَّا قليلٍ أَلْتقِي بالمرأَةِ التي فرغَتْ
للتَّوِّ مِن تقْلِيمِ أَظافِرِ الكَواكِبِ
وجلسَتْ علَى ضوءِ الأُفقِ تستنطقُ أَسْرارَ
الغيْب كسَلَّة هواجسٍ مُعلقةٍ
فِي زنْزانــةٍ.
وأَخيراً، وليس بأخيرٍ، أَجلسُ علَى مصطبةٍ
أُخرى، علَى بُعْد أَلفِ سنةٍ ضوئيَّةٍ
مِن الأُولَى
أبحثُ عنْ ظلِّ امرأَةٍ لنْ أَلقاهْ.

بِمناسبَة العامِ الجَديدِ

مُنذ أَنْ تمطَّى جُثتي نَعِيقُ
السَّنواتِ
وحلّق الطائرُ الشتويُّ
في عُنقِي،
انبرَتْ أحداثُ سَنَتِي الأولَى،
سَنةِ ميلادِي،
نحْو زُرقةِ الأَبَدْ
مِثلَ شاحِنةٍ غرِقتْ باحتمالاتِهَا
فِي لجَّةٍ.

هِجْرةُ الأَسْلاف

مِنَ التِفاتَةِ ذِئْبٍ، أرى في ضحْكتهِ
هِجرةَ الأَسلافِ، انفجرتْ هذهِ
الطرقُ التِي لا ينَامُ فِيها المُسافِرِ إلاَّ
ورأسُه مسنودٌ إلى مُعضِلةٍ
وربَّما يحلُم بعْد كأسِ النَّبيذ أَنَّهُ
راحلٌ غداً
وأنَّ شرايينَه تتوزَّع فِي عيْنَيْ
جائعٍ، يتسلقُ صرخةَ احتجاجٍ
عبْر المسافَاتِ التي أَفْرغَتْ عُواءَها
فِي قلبهِ،
يهِيمُونَ، يزحفُون جميعاً كالأَفاعِي

الجَريحةِ
تتعثَّرُ فِي ذاكِرةِ الشِّتاء
نَحْو المقَاهِي ذاتِ الصَّدر المَاسِي
ذاتِ الأَضواء المُركَّزةِ على أثْداء
نساءٍ تخْرجُ الفُصولُ كالجِرْذَانِ
مِن أَحلامهنَّ الشبقَةِ، وقفَ
الرجالُ، يرْتقُون شُروخَ النَّهارِ.
الأَحاديثُ بِرنينِهَا الحائِر كَحجرٍ مقْذُوفٍ
إلَى الخلْفِ
النَّظراتُ، التي تجُوس خرائبَ عابِقةً
بالذِّكْرَى
إذْ ليس إلاَّ حوافرُ الثأرِ
تحفِر هذَا الرأسَ المفتوحَ علَى
نهاراتٍ لاَ تنْتهِي،
نَهاراتٍ تحملُ ثِقْل ليْلهَا المُوحِشِ
وستَخْتَفِي المرأَةُ في رأسِكَ
حَالِمةً، بِرِيفٍ مُعلَّق مِنْ قدميهِ
فِي
فـــراغ
الـمـدِينَـــةِ.

كلُّ شيْءٍ لمْ يَبدأ

كُلُّ شَيْءٍ بدأَ
كُلُّ شيْءٍ لمْ يبدأ
هكَذَا أَبداً
تموتُ وعولُ النَّفْس فِي
خُضرةِ الصُّراخِ
هكَذا تنْدلِعُ حروبٌ تَغرقُ فِيهَا
سُفن الأَفْكارِ
وَهكذا أَيضاً أَحلمُ
أَنَّنِي قائِدُ أُورْكِسْتْرَا
فِي جُزُرٍ
تشْتعِلُ فِيها النِّيرانْ

أَحشَاءُ الصَّبَاحِ

إلى يوسف سامي

الصَّباحُ يُجرجِرُ أَحشاءَه تحْتَ
قدمِ التِّيهِ
والمساءُ دائماً تحْت معِطَفكَ
عيْناً جاحِظَةً
وأُخرى تُراقِب الغيْم يسْقُطُ
فوْق الجبَالِ
تسوقُ قَطِيع السَّنواتِ

بِعِصْيان المحبَّةِ
وتحْتَ الشَّجر المضرَّج بالغُروبِ
تَجلسُ وَحِيداً
كَشارِعٍ تلسَعهُ أفْعَى
بينما خطواتُك المُتعثِّرةُ بِأَحْجَارِ الأُلوهَةِ
وأحلامٍ لاَ تَتحقَّقُ
تنْهمِر علَى أوجُه المارَّةِ
فُلولَ لعَناتٍ.
فِي رُؤياكَ الأَخيرةِ : «ابنُ عربيّ»
يسرِقُ قُبَّعةً
مِنْ طِفلةٍ
ويتغذَّى مِنْ لُهاثِ الشَّجر الطَّالِعِ
مِنْ قَعر المُحيطَاتِ.
لكنَّكَ المَنفِيُّ أبداً
وَعَلَى بُعد خُطواتٍ
مِنْ موتِـــكْ

مسْخٌ

أيُّها الدمُ المتدفِّق مِن شريانِ
يَمـامــةٍ
وَمن قطِيع الزَّرافِ الراكضِ
فِي خِضمِّ الغَاب
ياَ دَمَ الصَّرخةِ الأُولى في بَهِيم البَدْء
دَمِ السَّلْطَعُونِ
وَوحِيد القرْنِ
وقَوافلِ النَّمل التِي وَرِثتْ
عَرشَ سُليمَــانَ
حَيثُ سقطتْ قناعةُ الأَنبِياء
فِي بطْنِ سمكَةٍ.
أيُّها الدَّم الأَولُ
أَعرفُ أَنكَ دَمِي قبْل أَنْ يتشَكَّلَ
هذَا المســـخُ.

ذِكْـــرَى

إلى والدي ناصر بن عيسى

كَانَا جبَليْن، تسترِيحُ بينَهُما صرخةُ
الرُّعـــاةِ
كانَا منْحُوتيْن مِن بَازِلْتِ العِنَاقِ،
عَلَى الذِّروةِ تُحلِّق طيورٌ غاضبةٌ ترْمِي
عَلَى السُّفوحِ بِهَمِّها المُقدَّسِ،
ومِن بيْن الضَّباب الأزرقِ، شاهدْنَا
زردَ البُحيراتِ يغْرقُ فِي ذَهب المَساء.

سَعِيدَيْنِ بِهذا الحُطام الذِي تَنهبُهُ
الخيولُ بيْن حوافِرِهَا فِي تلْكَ
الوِهَادِ العصيَّةِ حتَّى على النَّسرِ
الذِي يبْحَثُ فِيهَا عنْ
أسـراره،
وَالضَّبعةِ عن دَواءٍ لأَطفالِهَا.
الغيومُ تلِد التَّوقُّعاتِ
وَلاَ هواءَ يُطوِّح بالأَفاعِي التِي
تحبلُ بِها الظُّلمة الحادةُ.
صمْتُ الجهـاتِ
مَطرُ الذِّكْـرَى.
كَانَا جبليْنِ منحُوتينِ مِن بآَزِلْتِ القُرونِ
يَذُوبانِ فِي رَأسِ المُسافِر
مِثلَ مجرَّةٍ سقطتْ بِسُكَّانها بالبحْرِ
وكانَ اسمُهمَا «لسانَ الطيْر».

دِيارُ الأَحِبَّــة

هَا هِي رُعُود الانتِقام، تقْصِفُ
دِيارَ الأَحِــبَّــةِ،
فَتطيرُ النوافِذُ والأَبوابُ لآخرِ زُقَاقٍ فِي القارَّاتِ
التِي لم تُكْتَشفْ بعدُ.
أَدْركْنا ذلِكَ حينَ شاهَدْنا
الذكرياتِ تحُوم فوقَ الأَطلالِ
مثلَ ابتهالاتِ
تَقذِفُها
طيورٌ ليليّــــةٌ.

القدَمُ النرجِسيَّــة

فِي الَّليلةِ نفسِها التي لاَ تُحلّق العقبانُ
فِيها إلاَّ على رؤوسِ
ضحَايَاهَــا،
رحلتْ قَدمٌ قرويَّةُ المِزاجِ
إلى حيثُ لا تنتهِي الرِّحلةُ
بَيْن أَصابعِهَا كانت الآفاقَ تتحرَّكُ
مِثلَ حشْدِ نُجومٍ تَتَهيَّأُ للقفْزِ

وَفِي ظِلِّهَا الشَّبحيِّ، فرَش الحُلمُ
ساحةً تمْرحُ فِيها
الثَّعابِينُ.
لمْ تكُن وليدَةَ تخْطيطٍ ولاَ صُدفةٍ
كانتْ هكذَا وحِيدةً
تُطلِق صرخةَ الضَّياع فِي
مَهبِّ القَارَّاتِ
مِثْلَ منارةٍ خلَعتْ ضَوءَها لِلْبحرِ.
وَفِي الطَّرف الأَقصى لِدِيجُور
فَحِيحُها، كانَ القلبُ يسْكنُ
غابَتَه السِّريــةَ،
بَاحِثاً عن مَرايَا الأَبدِ فِي حُطام الذِّكْرى.
وَفِي المُدُنِ التي لا تتَّسع إلا لِحَديثٍ
عَابرٍ، كانتِ الأَرضُ مدْلهمَّةً
بِالأقْــــدامِ.
أَقدامٌ تتْبعُ خيْطَ المُستقبلِ الوَاقعِ
فِي مأزِق الوِلادةِ.
أَقدامٌ آسيويةٌ، إفريقيةٌ
أَمازُونيَّـــــةٌ،
تحْلم بِالعودَةِ وأُخرى بِالرَّحيل نحوَ

جُزر النَّهب

أقدامٌ تحْشر أسلافَها فِي زُرقةِ
ليْلٍ يُشبِه ذاكرَة الغَريق.
أقدامٌ أَو قدَمِي وحْدِي (لِيكُن)
التِي ولدَتْ سرَّها فِي
عَرِينِ النَّمِر ليستشْرِيَ في المُدنِ
مثْلَ شحَّاذٍ مُصابٍ
بالسَّرطــان.
القدمُ التِي لاَ تستسِيغُ السَّعادةَ
إلاَّ خِلسـةً
وَعَلى حافةِ هَاويةٍ.
ولِلقَمر أيضاً قدمُه النرجسيَّةُ التِي
ترفُس الشمسَ
بُغيةَ احْتلال الموْكب،
يَتجولُ القمرُ وحيداً، نراهُ بيْن حشْدِ
الأَقدامِ وَالرؤوسِ
مُضيئاً طرفَ الحانةِ
كمَا يُضِيءُ السَّجينُ في زَنزانَتِهِ.

وَلأُمِّي كانتْ قدمُها التِي تَنوءُ
بِثِقْل المذَابحِ،

قدمُ الكُمَّثْرَى
وأَنين المسافاتِ.
لمَ أكنْ أَعرفُ سِر الأَقْدامِ،
حتَّى تربَّع النَّسرُ فِي عرْشِهِ الفَظيعِ،
خَالِعاً وَتِد النَّمِيمةِ فِي صرخةِ
الرَّعـــــــدْ.
وَلأنِّي كُنت المدعُوَّ لِهذه الوَليمةِ مِنَ
الأَقدامِ والأدْمغةِ المُستفزَّةِ،
غامرْتُ بِسُمعتي الأَخلاقيةِ
لأَكُونَ سيِّدَ المأدُبةِ أَوْ خادِمَها،
بحيثُ لاَ تنْقُصنِي الأَرابةُ لِلْوقُوعِ
دَوْماً بيْن أَسْنانِ ذِئب.
أَهكذَا يَبْدأُ المجُوسُ رحيلَهمْ
تَاركِينَ فِي كُلِّ طَريقٍ أَثراً لِجَريمةٍ
عـــذْراءَ
وَبقايا عِشـــاءٍ
يَمتَدُّ حتَّى الأَبديــةِ.

مشهدٌ مُكرّرٌ

مَا بيْن شارعِ الشُّهداء فِي الحيِّ التَّاسِع
و «السَّانْ مِيشِيلْ»،
تُحَلِّق حِكمةُ اليوْمِ بِأَنْفاقِ المِتْرُو.
الطيورُ تحْتلُّ الشُّكنات بِصيَاحهَا العجيبِ
المُهاجِرُونَ ينْتظِمونَ صُفوفاً أَمام التَّفْتِيشِ
وَصُداعُ الرَّأسِ لاَ يَأتي إلاَّ بمزيدٍ
مِنَ المحَبَّة لِلْفِئْران.

مَشْهدٌ عَابِرٌ لِامرأةٍ مغتصَبَةٍ
قِردٌ يَعْوِي،
تُحِيطُ بِه مجموعةُ فِيَلةٍ جُلِبتْ خِصِّيصاً مِن الهِنْد،
بينَمَا العُراةُ والسُّكارَى يحْتلُّون الحلَبةَ
بِشِفاهٍ يَابِسَةٍ،
مُمَنطقِين بِزنَّار مِن الضَّفادعِ.
حَفنةُ نُجُومٍ تهْذِي أمامَ المَخْرجِ
وَالسَّماءُ تُلقِّحُ الأَرضَ بِمصْلٍ جَديدٍ.
تَصِلُ المقهَى أخيراً
وكأَنَّكَ اجْتزتَ أَرخَبيلاً خُرافِياً فِي نَوْمِكَ،
حيثُ تتركَّز نحوَكَ نظراتُ الزَّبائِنِ
وَالكلماتُ التِي تحْتدِمُ فِيها المَصَائِرُ.
تَنْظُر إِلَى الخَارِجِ :
القَوارِبُ ما زالَتْ فِي مكانِهَا
الأَشجارُ تتمايلُ بِفِعْل ريحٍ خفيَّةٍ
والنهرُ الذِي ابتَلَع قُروناً، بدأَ يلتَهِمُ هدُوءَهُ بعمقٍ.
وَحِين تكُون راجعاً إلى بيْتكَ يتكرَّر نفسُ المشْهَدِ
مَعَ زِيَادَةٍ خَفيفةٍ : فَالرِّجالُ المُلثَّمُونَ الذِين
يَعْترِضُونَ طرِيقَك، ليْسُوا إلاَّ ذِئاباً طردَهَا
البرْدُ مِن الغابَاتِ.

سَهرةٌ

كُلُّ شَيْءٍ بانتِظارِهِمْ :
الكؤوسَ والأَدْمغةُ وعناكبُ الرُّفوفِ،
وَالصالةُ وهيَ ترسمُ بِلُعابِها المدْعُوينَ،
لتُغطيَ بياضَ عُريها المائلِ للوحْشةِ.
سَننْتزِعُ مجْد هَذِهِ اللَّيلةِ مِنْ حُنْجُرةِ الوقْتِ.
الأَبوَابُ مُشْرَعةٌ منذُ القِدَمِ، تدْخلُ مِنْهَا
ذِئابٌ صغِيرةٌ، تُشارِكُ المدْعُوِّين

فِي الرَّقْـصِ

هُنَا فِي هذَا المكانِ، اجتمعَتْ هجراتٌ كثِيرةٌ
أَطلَّتْ مِن نوافِذِهَا البحريَّةِ، رؤوسُ دَلاَفِينْ.
فِي هَذَا المكانِ ذَبلتْ مسافاتٌ كثِيرةٌ، يعرفِها
سائِقُو القِطاراتِ
جَيِّـداً
فِي هَذا المكانِ أَمْطرتْ سحبٌ كثيرةٌ
يَعرِفُها القَروِيُّونَ
جَيِّـداً
وَقَدَمُ الهِيستِرْيَا قادَتْ شِعابَ الذَّاكِرةِ
فِي غُلواءِ اللَّيل.
وَمِنْ هَذَا المكانِ رحَلَ الجميعُ إلى بيوتِهم، تارِكِينَ
ذِئاباً صَغِيرةً تحدِّقُ في دِيكورِ الصَّالةِ،
حيثُ الأغاني ما تَزالُ
سَكْرانةً، تُدخِّن سيجارةَ
الغيـابْ.

هلْ ثمّةَ فُرصةٌ لِلهرَب ؟

كُلُّ شيءٍ يهربُ مِن بيْنِ أَيْدِينَا
ويتسلَّل إلى جُرحٍ فِي قارةٍ مهجُورةٍ،
وفي الجُرحِ تنامُ آلافُ الجُثثِ المُخَمرةِ
حيثُ لا أضواءَ ولاَ حنانَ أَفْتقدُ غِيابَهُ.
وَفِي بوَّابةِ شِتاءاتهِ الكَثِيرةِ، حشَرتْنِي
الأَقوامُ تحْتَ مِظَلَّةِ الجَرِيمةِ.
هَلْ ثمّةَ فُرصةٌ لِلهربِ معَ قراصنةٍ ينامونَ
فِي الهَدِيرِ ؟
هَلِ الجبالُ هِيَ الجبالُ حِين تستدْعِيها الذّاكرةُ
إِلَى زُقاق ترقصُ فِيه الوعُولُ وَالغزلانُ
التِي نسيَتْ رُوحَها فِي ودْيانٍ تُخطّطُ حتْفهَا
كُلَّ لحْظـــةْ ؟
أيْن أَنا مِنْ ذَلِك الصَّخبِ الذِي
يخْرِقُ أُذُن الحارَةِ
كُلَّما غطستُ فِي النَّوْم ؟

بَحثاً عنْ قِطْعة خُبزٍ أَو قُماشٍ

فِي لَيْلةِ الخامِسِ والعشْرين مِنْ...
حيْثُ كَانَ الرَّبيعُ يزفِرُ مُوسيقى أَحْشائي
النَّاعمةِ، وحقولُ الطُّرقات في بَارِيس
مرميةً بيْن أَضراسِ الخوْفِ والمزابلِ التِي
يضِيع أَطفالُ المُشرَّدين فيهَا بحْثاً عن قِطْعةِ
خُبْزٍ أَو قُماش.
وبعْدَ أَنْ قرأتُ فَصْلاً مِن أَلْفِ لَيْلَةٍ

وليْلَةٍ، أَدَرْتُ زرَّ التلفزيونِ.. كَان فِيلْماً
أَمِيركيّاً وكانَ المشهدُ الأَخِيـرُ الـذي تُحـرَقُ
فِيه جَانْ دَارك معكوفةً عَلى الصَّلِيبِ.
بعْد ذلِكَ أَوْ قبلَه بِقَليلٍ :
رأيتُ جِمالَ الأُسطُورة تُنِيخُ أَحمالَ
ذكرياتِهَا
على كَتِفِـــي
رأَيتُ ذِئباً يتجوَّلُ فِي تلَّة أُفُقٍ
بعيدٍ أَظنُّه رأسِي.
رأَيتُ أُمِّي تلِدُ طِفلاً يبتسمُ لِي بخُبْثٍ،
لا تلبثُ أَن تظْهر بصَقِيع سِيبرْيَا
تُغنِّي مع الرُّعيانِ والمجْلُودِين وبمشْهدٍ
آخرَ ميِّتةً تحضنُ المجرَّاتِ التِي لاَ يعرف العلماءُ عنها شيئاً.
وعَلى أَيِّ مُنقلَب نحنُ تلاميذُكَ
أَيُّهَا البحرُ الذِي يعْتَقل أَمْواجَه بِسببِ
سِيجارةٍ.

وُجُوهٌ تَطلعُ مِن السَّديمِ

حيثُما تقَعُ عيْنُك عَلَى حَديقَةٍ
أَوْ مبْنَى أَوْ إنْسانٍ،
يشْتَعِلُ فِيه شبقُ الحريقِ
حيثُما تَهِيمُ عَلَى وجْهكَ ضَـائِعـاً
فِي الدُّرُوبِ والأَزقَّةِ، تسْتحِيلُ
إلَى طفْلٍ يقْذِفُ أَمعاءَهُ فِي الرَّصِـيـفِ

لقدْ نسيَكَ الجميعُ إلا روحٌ
يظَل ساهِراً بينَ
حَنايا عظامِكَ القِصْديريَّةِ،
حيثُ تتنَاوبُ الفصولُ علَى
أَبوابِهَا الكَثيرةِ.
هَلْ تتْبع خُطواتِ حذاءٍ يتجوَّلُ
فِي أَعماقِــكَ ؟
أَمْ تمضِي إلى شَارع آخرَ أَوْ
كِتابٍ يتحدَّثُ عنِ
انتحارِ فيْلسُوفٍ
فِي مبْغَــى ؟
لِتلُمَّ كلماتِكَ المبعثرةَ فِي وجُوهٍ تطلُعُ
دَوْماً مِن السَّديمِ
فعمَّا قليلٍ يأخذُ المدْعوُّونَ طريقَهم إلى الموْتِ.

مرَايَا القِفار

فِي القطارَاتِ التِي تحْملني دائماً
إلى البَعيــــدِ
وعبْر مرايَا قِفارٍ أُفقيةٍ، نَزِقةٍ
لا أكادُ أتعرّفُ
على وجْهيَ الذي
خمشَتْهُ طيورُ الهِجرةِ.
لكني حِينَ أَنزعُ قُفّازاتِ الرؤيــةِ

عَن حدَقةِ الظَّلامِ

وَفي الأَنفاقِ السَّحيقــةِ

لِلأَلَم الإنسانيّ،

أَتجشّم المسيرَ ثانيـــةً

لَعلّيَ أَرى ما لا تَراه عينُ الصّوفيّ

أَو السّندبـــادْ

[لُؤلؤةٌ أَو امرأَةٌ

أَو فِكــره]

أَو العدمَ الذي

تجرفُ وِديانُهُ

الجميعَ لحْظَةَ

صَحوٍ زائــلٍ.

نجْمةُ الأَعاصِيرِ

لَيس مَا يجْعل الصَّباح نديّاً هذَا اليومَ،
غيرُ ذلِك الانْبِجاسِ الخفيِّ لِهياج الرُّوحِ،
مُتربعــةً فِي صحْنِها القَمريّ
غيرُ هذَا التلعْثُمِ فِي وجْنة النُّحاسِ.
امرأَةٌ تُحرِق عشبَ القارّاتِ
لِتُضيء نجْم الشّكِيمةِ المتدلّــي
مثلَ نِيّةِ انتقامٍ لِسَماء مُدْلـهـمّـةٍ.

تَقْطعُ ذِراعَ الفجْر مِنْ أَجل ظلّها الهاربِ
فِي مَغارة الأَبعادِ
تَسْتجلِي لآلئَ الشَّكّ
فِـي مـرْكـبـةِ الـبَـرقِ
فكأنّما الرعودُ طرائدُ لأَحلامِهـا
الليليَّـةِ،
لاَ شيْء يُستثنَى مِنْ قبْضةِ ومْضِها،
المُستفزّ حتّـى
مكَانِ السّرَّةِ النابتِ
في مقْبـرةٍ
بِجبَال الهملاَيَـا.
سَعِيدةً أَحياناً سعادةَ المُبدعِ باكْتمالِ
قصيـدةٍ
أَوْ سعَادةَ النَّسر بالتهامِ ذِروَةٍ
جبليَّـةٍ
وَحزِينة، رُبما كانَ ذلكَ
حِين تدخُل ريحُ الجنوبِ إلى رأسِها
المخضّب بعُواء
المقاهِي وَالقِطارَاتِ
ترْنُو مِن وراء النّوافذِ والأسْلاكِ

إلَـى
عَيْنيْ ضبُعٍ مُسِنٍّ
لِتعْرفَ اتجاهَ الأعـاصيــرِ
وتستدِير، استدَارة شمْسٍ
في ليْلتِها الأبديَّــةِ.
غيْمةُ جنس تجْأر بِالفضيحةِ
ومنَارةُ هذَيانٍ لأجيـالٍ تَلـفَـتْ
منذُ قرونٍ
لا شيءَ يرْحلُ عَن مدَى نَاظِرهَا
إلاَّ وتحصُدهُ بِفأس النُّبوءةِ،
النبوءةِ التِي تتَنزَّه فِي شَرايينهَا
مثلَ ضبٍّ يتنزَّهُ
فِي مغارةِ الليلِ
تفْركُ عينَيهَا المُرهقتيْنِ مِن سفرِ
الأيامِ الطَّويلَة، حيـثُ كَـانَ البـدوُ
يُحدِّقونَ فَوقَ أحصِنتهِمْ وَهْيَ
تتَوارَى خلفَ زُجاجِ الأفقِ
وتسقُط مثلَ نيْزكٍ في شواطئَ
مجْهولـــةٍ.

محَاولاتٌ فاشِلةٌ

حَاول أَنْ يعصِر عظامَهُ فِي قصيدةٍ
حَاول أنْ يدفع لياليَهُ الموحِشةَ إلى المِقصلهْ.
لاَ يمكنُه النومُ لا يمكِنه الكتابةُ
لاَ يمكنُه اليقظهْ.
أَشْبَاحُه تتقدَّم إلى الغُرفةِ وَ
تَتمدَّد عَلَى السَّريرِ.
صقورٌ تَرعى فِي عيْنيهِ بمَسَرَّةٍ
قريةٌ بكامِلها ترتَجفُ فِي أَحْشائِهِ
وَجَدَ نفْسه جُندياً فِي حُروب لاَ علاقةَ لهُ بِهَا
وجَدَ نفسَه مَايِسْتْرُو لِجَيشٍ مِنَ المتسَكِّعينَ.
ورُبما لمْ يجدْ شيئاً، عدَا رمادِ أَيَّامهِ
المُقبلــــةِ
وَحِينَ أَيقنَ أَنْ لاَ فائِدةَ حملَ بندقيتَهُ
وبرصاصَةٍ وَاحدةٍ سقطَ الفضاءُ
صَريعاً فِي الغابَــةِ.

قصِيدةٌ حبٍّ إلَى «مطْرح»

حِين تمدَّدتُ لأَولِ مرَّةٍ على شاطِئكِ
الذِي يُشبه قلباً، نبضاتُه مناراتٌ
تَرعَى قطعانَها فِي جبالكِ الممتدَّةِ
عبْر البحرِ.
أُطلِقُ بينَ مقلتَيكِ منجَنيقَ طفُولتِي
وَأصطاد نوْرساً تائِهاً فِي زَعيقِ
السُّفُنِ.

نُجُومُكِ أَميراتُ الفراغِ
وفِي ليْلِ عُريكِ الغريبِ تُضيئينَ
الشُّموعَ لضحايَاكِ كي تُنيرِي
طريقَهم لِلْهاويهْ.
أُبعثِر طيورَكِ البحريةَ لأَظلَّ
وحيداً، أُصغي إِلَى
طُفولةِ نبْضكِ المُنبثقِ منْ
ضِفاف مجْهولَةٍ،
تُمزِّق عواصفُها أَشرِعةَ
المَـراكب.
كَمْ مِنَ القَراصِنة سَفَحُوا أَمجادَهمْ
عَلَى شواطئِكِ
المكتضَّةِ بنزِيفِ الغربانِ
كمْ من التُّجار وَالغزاةِ
عبرُوكِ فِي الحُلمِ
كَمْ مِن الأَطفال منحُوكِ جنونَهمْ
مِثلَ ليلةٍ بهيجَـةٍ
لعيدِ ميلادٍ غامضٍ ؟
القرويُّونَ أَتوكِ من قُراهمْ،
حامِلين معهُم صيْفاً مِن الذكرياتِ.

مطرحَ الأعيادِ القزحيَّة البسيطةِ
والأُمنياتِ المخَمَّرةِ في الجِرارِ،
الدُّنيا ذهبتْ بِنا بعيداً
وأنْتِ مازلْت تتسلَّقينَ أسوارِكِ القديمةَ.
وما بيْن الطَّاحونةِ و «الشّعابْ»
يتقيّأُ الحطَّابونَ صباحاتٍ كاملةً،
صباحـاتٍ يطْويهـا النسيـانُ سريعـاً.
هَذهِ القـلاعُ بقيْـت هكـذَا تُحـاوِرُ
أشباحاً فِي مُخيّلة طفْل، حيثُ
بناتُ آوى يتَجوَّلْنَ جَريحاتٍ
بينَ ظِلالها كموْتٍ مُحتَملٍ
وحيثُ كُنا نَرى عبْر مَسافةٍ قَصيرةٍ
ثُعباناً يخْتن جبلاً في مغارةٍ.
لَمْ أنْسكِ بعدَ كُلّ رَحلاتِي اللعينةِ
لَمْ أنس صيّاديكِ وَبرْصاكِ النَّائمينَ
بيْن الأشجَارِ.
حِينَ تمدّدتُ لأوّل مرَّةٍ
كـانَ البحـرُ يشبِـه أيْقُـونـةً
فِي كفّ عِفريتٍ
لأنه كانَ بحراً حقِيقيّاً يسرِّح زَبَدَه

فِي هضَاب نِساءٍ يحلُمنَ بِالرَّحيلِ.

حِينَ تمدَّدتُ لأَول مرةٍ
لمْ أكنْ أعرِف شيئاً عدَا
ارتجافةِ عصْفورٍ
فِي خِصركِ
الصَّغيرِ.

لَيلةٌ أُخـرَى

سأَنامُ وأَترُك كلَّ شيءٍ للرِّيحِ
النابِحةِ أَمامَ بابِي.
سأَتركُ القلمَ والسَّجائرَ والمِنفضةَ
الملأَى بِفيالقِ المغُولِ وهُمْ
يغْتصِبونَ السَّبايَا فِي
مدُن الذاكِرهْ.
سأَنامُ وأَتركُ كلَّ شيءٍ للرِّيحِ
وَالمطرُ الراعِدُ وهو يقْرعُ نافِذتي
طِوالَ اللَّيلِ ويتسلَّل إلى نوْمِي
مِثْلَ كابُوسٍ هَائجٍ أَو رحْمةٍ إِلَهيةٍ.

رِسالَـة

الفجرُ ينتَشِرُ فِي غُرفتي كذِئْبٍ،
يتقدَّمه زحْف عُوائِهِ نحْو
قريَـةٍ مهْجُـورةٍ.
الفجرُ يَقرضُ لياليَه ثَقيلاً بارِداً،
وَالساعةُ تزْأرُ مثلَ لبؤةٍ فِي
مُستنْقعاتٍ بعيدةٍ،
يُعربِد صدَاها فِي الرَّأسِ.
الفجرُ هذِه الليلةَ هَكَذا
وأَنتِ غائِبةٌ عنِ السَّريرِ.

بَائِعةُ فطَائِـر

دائماً أَقطعُ الطَّريقَ المُؤدّي إليهَا
وَهي ترمُق صباحاً يطلُع مِن رأسِ
بُحيْـرةٍ،
بيْنما كلبُ المقهَى يزدادُ نُباحُهُ
كأنَّما حَدأَةً ستمزِّقُ مضجَع الحارةِ بعْد قليلٍ.
الشَّاحِنات عبرتْ فِي اللَّحظةِ حدبةَ الجسورِ
لِتستوْطنَ قلبَ مشردٍ (خاصَّة وقتَ النومِ)

أراهَا تهْرِش اللحمَ كالطُّيور الجَارحةِ
وتخْتفي فِي أَزقَّة الشَّرايينِ.
لكِنَّ المطَر لا يزَالُ ينزِل أَمامَ دُكانِها وهيَ
ترتِّب الفطائِر بهلْوساتِ ملاَكٍ.
* فطِيرةٌ واحِدةً.
ـــ 4 فرنكاتٍ.
وتخْتفِي الشَّاحناتُ والنباحُ، في
أَنفاقِ المِترُو، أَستمِعُ
إِلى عازِف «الجَازِ» الذي لمْ يعُد يتحدَّثُ
عَنْ أَيَّة أَحلامٍ.
«كْلُوشَـارٌ» نائِمٌ، بين تعارِيج صرخَاتهِ،
أَرى قطِيعاً مِن الثِّيرانِ
الوحْشِيَّة
تتدفَّق علَى الشَّوارِع المَأهولةِ بالقتْلَى
تـارِكــةً
بصَمةَ الزَّمـانِ.

البرَاءةُ الأُولَى

بِبراءَةِ الخُطوةِ الأُولَى،
بِالبَراءةِ نفْسِهَا
تقمَّصتُ ملاكَ أَوهَامِي
وذَهبتُ نحوَ المرأةِ التِي انقذَفتْ
دهورُ وجْدِها فِي رأسِي
نحْو المرأَةِ التِي أُحِبُّ.
كَان اللَّيلُ يتكوَّر مثلَ قتيلٍ فِي الحَانةِ.
والشارعُ يتلوَّى جُوعاً باحثاً عنْ
فرِيسةٍ، تخْترقُه بيْنَ الفتْرةِ والأُخرَى

جلبةُ قطاراتٍ تُشبه لغَط ذِئابِ
فِي صحْراءَ، أَوْ هلْوساتِ جيْشٍ يحْتضِرُ.
كُنت أَعْبرُ الرَّصيف نحْو الضوء
الذِي انفجرَ فُجأَةً مِن تحْت أَضلُعِي،
شارداً فِي أَزقَّة الذكْرَى حيثُ
يتسكَّع السُّكارَى والمُشعوذونَ
علَى ضوءِ الشموعِ التِي أَوقدَتْها
المرأَةُ، التي دوَّختْنِي عبْر
القـــرُون.
أَصعـدُ السُّلـمَ الخشبـيَّ الـذي طالَـمَـا
تدَحرجتْ فِي ثنياتِه كلُّ طُفولةِ
أَيَّامِنَا المُعشِبةِ.
وكَمَا فِي قَصصِ «الجنِّياتِ» ينْفتحُ
البابُ، يقودُنِي ضوءُ أَضلعِي الشاحِبُ،
وبجُرأَةِ عاشقٍ وَحِيدٍ يهْوِي وسطَ
ظِلالِ الأَساطيرِ علَى سريرِ المِلكةِ.
وَبِالبراءةِ الأُولَى، براءةِ الحُلم التِي تلمَعُ
فِي اللَّيل مثلَ بريقِ شفْرةٍ لم تُستعمَلْ،
صرختُ «إنَّ ما أحضِنُه كانَ جُثماناً
لِلمرأَةِ الغَابِرَةِ».

زَورَقٌ فِي المغِيبِ

وأنتَ هنَا أَو هُناكَ
لاَ يجِب أَن تلْتفِت كثيراً إلى الخلفِ.
الغيومَ المقذُوفةُ عَلى كتِفيْكَ
مِن النوافذِ،
تُشبه نظراتِ امرأَةٍ
رأَيتُها قبلَ قليلٍ فِي الحَانةِ
وَالطُّرقاتُ المليئةُ وقدْ

تركَها أَصحابُها معَ الفجْرِ،
ذاهِبينَ إلى الحرْبِ،
وأنتَ هُنَا، محدِّقاً فِي الطُّيورِ
التِي تحْمِل فِي منَاقِيرهَا العواصفَ، اعوجاجٌ
لا تنْقصهُ الاستِقامَةُ
غرابٌ يتقمَّص هيئَةَ عصفُورٍ بِلا وَاسِطهْ.
وأنتَ هُنا أَوْ هنَاكَ
جَالِساً أو مَاشِياً
فوْقَ الجِبالِ أَوْ فِي أَسفَلِ السفوحِ
حيثُ البَراكِينُ، نشْوَى، تُزغرِدُ
فِي أعراسِ المدُنِ

هكَذا أَنتَ :
خطوةٌ وَحيدةٌ تُدحرِج زَورَقاً
فِي المَغيبِ.

الـنَّـــومُ

كُلَّ صباحٍ حِين تنْهضُ مِن نوْمِكَ
الضاربِ فِي القِدَمْ،
تفتحُ نافِـذةً
تدخلُ مِنها مُوسِيقَى
ورجالٌ يحْمِلونَ علَى أكتافِهِمْ
قــوارِبَ
تَسطعُ فوقَها شمسٌ مرِيضــةٌ.

وَكَان الجميعُ مربُوطاً

بِقَدَمِ العاصفـةِ

التِي تُرتِّب نوايَا رحِيلهَا

فِي نوْمكَ

الذِي لمْ تستَيقظْ منه بعدُ.

النافذةُ مفتوحةٌ، وأَنتَ

تقْتلعُ رؤوسـاً

بشـريَّـةً

تَظهرُ على شكـلِ

نُجُـومٍ

فِي فُنجـان القـهْـوةِ.

لـحظـاتٌ

وسَتغِيب في زُحامِ الشارعِ.

فهـــرس

لقد تعب الحائط من السفر 5
مدينة تستيقظ 7
من الغرفة إلى المقهى 9
بخطوة الغيب 10
كل هذا العمر 11
بمناسبة العام الجديد 13
هجرة الأسلاف 14
كل شيء لم يبدأ 16
أحشاء الصباح 17
مـســخ 19
ذكــرى 20
ديار الأحبة 22
القدم النرجسية 23
مشهد مكرر 27
ســهــرة 29
هل ثمَّةَ فرصة للهرب ؟ 31
بحثاً عن قطعة خبز أو قماش 32
وجوه تطلع من الـديم 34
مرايا القفار 36
نجمة الأعاصير 38
محاولات فاشلة 41
قصيدة حبّ إلى «مطرح» 42
ليلة أخرى 46
رسـالـة 47
بائعة فطائر 48
البراءة الأولى 50
زورق في المغيب 52
النّــوم 54

حداثة سيف الرحبي ليست حداثة افتعال، ولو كانت كذلك فلا تستحق دمعة حبر. إنها انفجار الوعي والحساسية الجديدة في تعبيرهما عن شقاء الإنسان في غربته ومنفاه. نقرأ ذلك في لغة شعريَّة متميزة وسط فوضى الهويات الشعريَّة السائدة.

يوسف الخال

يؤسس سيف الرحبي تعبيره الشعري على تجربة مكتنزة بالخوض في العواصم العربيَّة في السنوات الصعبة هذه. نصوصه حافلة بأجواء غرائبيَّة وكوابيسيَّة صادمة وصادقة.

كاظم جهاد

سيف الرحبي يأتي الشعر من مناطق الغرابة، يوقع صوره وتخيلاته كما النيازك توقع حضورها الملغي سلفاً، كل كلمة عنده كأنها فالتة من أسس النسيان تضيء فجأة ثم تتركك تتعقَّب أثرها... هكذا بخاتم الشعر السحري يحول ما لا يتحول ليعيد ابتكاره من جديد.

عيسى مخلوف

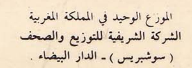
مجلة «اليوم السابع»

تستيقظُ آخر الليلِ،
تُلقي نظرةً على الشارِع الخالي، إلاَّ
مِنْ أنفاسٍ متقطعةٍ، تعبُرهُ
بين الحين والآخرِ.
وحدَهُ النومُ يمشي، مُتنزِّهاً بينَ
قَبائِله البرْبريَّةِ،
تتقدَّمه فِرقةٌ مِنَ الأَقزام.
وهُناك رؤوس وهميةٌ تطل مِن النوافذِ
على بقَايا الثَّلج الملتصقِ بالحَواف وكأَنما
تُطل على قِسمتها الأَخيرة في
مِيراث الأَجدادِ.

مكتبة نوميديا 142

Telegram@ Numidia_Library





15 درهماً